Causes of Extremism in Andalusian Poetry –Almuahedeen Era

Mustafa Hamid Fazaa Jassim Al-Jumaili*, Siddiq Battal Houran Al-Jou'aani
Department of Arabic Language, College of Arts, University of Anbar, Ramadi, Iraq

KEYWORDS: **Extremism, Andalusian, Poetry, Praise, Reasons.**

https://doi.org/10.51345/.v36i4.1233.g587

ABSTRACT:

The research, entitled (The Reasons for Exaggeration in Andalusian Poetry), deals with exaggeration as an ancient artistic phenomenon used by poets to exaggerate expression and exceed the limits of reason to attract the recipient's attention. The research is divided into two sections: The first: Political reasons, such as the tyranny of rulers, suppression of freedoms, fluctuations of power, and the deterioration of conditions in the late Almohadeen era, which prompted poets to exaggerate in praising the rulers in the hope of gifts and fear of punishment. The second is characterized by social reasons, which included: tribal boasting, poverty, multiple sects, alienation, and poets being influenced by the beauty of nature. The corruption of society led poets to feel despair, which prompted them to exaggerate in depicting reality, whether in praise or criticism. The combined political and social conditions made exaggeration a prominent artistic and expressive tool in Andalusian poetry.

أسباب الغلو في الشعر الأندلسي – عصر الموحدين

مصطفى حميد فزع جسام الجميلي*، أ.د. صديق بتال حوران الجوعاني
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الأنبار، الرمادي، العراق

الكلمات المفتاحية | الغلو، الأندلسي، الشعر، المدح، أسباب.

https://doi.org/10.51345/.v36i4.1233.g587

الملخص:

يتناول البحث الموسوم بـ(أسباب الغلو في الشعر الأندلسي)، وبيّن أنه الغلو ظاهرة فنية قديمة استخدمها الشعراء للمبالغة في التعبير، وتجاوز حدود المعقول لجذب انتباه المتلقي، انقسم البحث إلى مبحثين: الأول: أسباب سياسية، كاستبداد الحكام، قمع الحريات، تقلبات السلطة، وتدهور الأوضاع في أواخر عصر الموحدين، ما دفع الشعراء للمبالغة في مدح الحكام طمعا بالعطايا وخوفًا من العقاب أما الثاني فقد وسم بالأسباب الاجتماعية، فشملت: التفاخر القبلي، الفقر، تعدد الطوائف، الغربة، وتأثر الشعراء بجمال الطبيعة. وأدّى فساد المجتمع إلى شعور الشعراء باليأس، مما دفعهم إلى الغلو في تصوير الواقع، سواء في المدح أو النقد. فالظروف السياسية والاجتماعية مجتمعة جعلت الغلو أداة فنية وتعبيرية بارزة في الشعر الأندلسي.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد...

إنّ ظاهرة الغلو تعد من الظواهر الشعرية التي لها أهميتها في ميدان الشعر، وأخذت لها مكانة جعلت لها تأثيراً وجدلاً بين النقاد ولا سيما القدامى والمحدثين منهم، فتناولت في هذه المباحث الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الظاهرة وبروزها شعرياً، فمنها الأسباب السياسية وما لها من أثر خصوصاً في الحياة السياسية في عصر الموحدين وكيف مال الشعراء إلى مدحها وتمجيدها، ومدح الحكام والملوك في ظل هذه السياسة، أما الأسباب الاجتماعية فتناولت ما مر به المجتمع الأندلسي في العصر الموحدي من ظروف اجتماعية وتمييز طبقي جعل الشعراء يثورون ويغالون في أشعارهم ليعبروا عما حصل من ظروف في هذه الحقبة، وهذه الأسباب وغيرها هي من جعلت هذه الظاهرة حاضرة في الشعر العربي، اسأل الله العظيم أن ينال هذا البحث أدنى درجات القبول، وأعتذر عما بدر به من خطأ؛ لأنه من صفات البشر والكمال لله وحده.

والله ولي التوفيق

من خلال الدراسة والاطلاع على ظاهرة الغلو تبين أنها ظاهرة تتجاوز حدود التعبير وهي البلاغة غير المحمودة وتتناول التعبير عن المستحيل غير الممكن في الاغراض والموضوعات الشعرية...

"ويعد الغلو ظاهرة فنية وأسلوبية، ترتبط في النقد العربي القديم بمنظومة من المصطلحات المتقاربة في مفاهيمها، كالمبالغة والإغراق والإفراط والإيغال، الى حد الالتباس وأستحسنها العديد من النقاد والأدباء و أستهجنها آخرون"[1].

وهنا يمكننا عد ظاهرة الغلو في الشعر بصورة عامة هي خروج عن المألوف، وكذلك لشد المتلقي وكسر الرتابة، ويمكن عده أيضاً إشكالية من إشكاليات (الفلسفة – البلاغة– النقد)، وهذا يدلنا على أن ظاهرة الغلو قديمة بقدم الشعر وجديدة أيضاً ببقاء الشعر[2].

"ونعلم أن الأدب هو مرآة عاكسة يرسم خطوطها بصدق، وقد شهد الأدب العربي تحولاً كبيراً على مر العصور، وأصبحت الأقسام البلاغية من مبالغة واستعارة وكناية طابعاً مميزاً، ولا بد لهذا التغيير من أسباب ودوافع فلا يقرر الأدباء فجأة انتهاج الغلو؛ لأن التحول الأدبي لا بد من ممهدات والزمن الكافي ولا يمكن أن يخلق من العدم، وكان لتطور البيئة والحياة أثر في ذلك واجتماع الثقافات على مر العصور له أثر أيضاً"[3].

وإن أهمية الغلو في الشعر يمكن أن تكشف عن دورها الفاعل والمؤثر في نظم الشاعر لشعره من جهة، والكشف عن البواعث والمؤثرات الاجتماعية والنفسية حتى يخرج بنتاج يصل إلى المتلقي من جهة أُخرى[4].

المبحث الاول: الاسباب السياسية

إن الأسباب السياسية لظاهرة الغلو ليست وليدة اللحظة وإنما هي ظاهرة قديمة ملازمة للشعر منذ القدم أيان العصر الجاهلي ا متداداً إلى بقية العصور الأدبية التي كانت في قمة العطاء الشعري، وبروز السبب السياسي في المغالاة هو بسبب كثرة الحروب والتقلبات السياسية التي لازمت كل عصر، فكان الشعراء يغالون في الشعر لإثارة الناس حتى يشتركوا في هذه الحروب لأجل كسب السلطة.

إن الأوضاع السياسية التي كان يعيشها المجتمع منذُ العصر الجاهلي إلى الإسلامي بكل طوائفه كانت سبباً في بروز ظاهرة الغلو ويمكن إجمالها بعدة أسباب:

1- "اختلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فإن قيام امور حياة الناس الدينية والدنيوية معتمد بعد الله على وجود الآمر الناهي المنظم لشؤون الأُمة وامورها، واختلال المنظومة السياسية بين الحاكم والمحكوم وعدم القيام بالمهام المنوطة إليهم تؤدي إلى ظهور الغلو والتطرف"[5].

2- "توجه الحكومات الى سياسة تكميم الافواه، والزج بالمخالفين في السجون، والتشهير بهم وتعذيبهم واهانتهم وسحق كرامتهم، ومنع الحريات وسلبها هذا كله كفيل بأن يولد غلو"(6).

3- "افتقار النظام السياسي إلى محاسبة الانتهاكات التي تحدث في المجتمع، أدى ذلك إلى اعتقاد بعض الناس الى القناعة بعدم إمكانية تغيير الواقع فيتجه البعض منهم إلى الغلو"(7).

إن ظاهرة الغلو في السياسة الموحدية لم تكن بوصفها مجرد اسلوب أدبي فحسب؛ بل هي نتاج لوضع سياسي متشابك، وهذا ما جعل الشعراء الأندلسيين في هذا العصر قد لجؤوا إلى استعمال الغلو في شعر المدح الذي كان يقصد به الطبقة الحاكمة والخلفاء، ومهاجمة من كان يخاصمهم في سياستهم أو يعترضهم.

وفي الحديث عن الأسباب السياسية والتوسع بها" يمكن القول إن الأدب سلاح ذو حدين، قد تشهره الجماهير في وجه السياسة والسياسيين، وقد يستخدمه السياسيون مدخلاً للولوج إلى ضمائر الشعوب او يستغلونه لخدمة مصالحهم وترسيخ بقائهم"(8).

وهذا ما يؤكد لنا أنّ هناك علاقة وطيدة وتكون قديمة أدت إلى انقسام الآراء منهم من هو مؤيد ومنهم من هو معارض، وهذا يجعل النصوص الأدبية خصوصاً الشعرية منها منقسمة ما بين الاضطراب السياسي والاخرى الاستقرار السياسي(9).

وفي الأدب الأندلسي ظهر شعر يطلق عليه بشعر الحروب والفتن، وقد اشتمل على موضوعات عكست الأحداث السياسية التي تعرض لها المجتمع الأندلسي منذُ الفتح إلى الحقبة الموحدية منها، وقد نتج عن شعر الحروب والفتن في الأندلس اتجاهان تتشابه محاورهما غالباً أو تمتزج ببعضها، الاتجاه الأول (الندبة والنواح على المدن الضائعة)، والاتجاه الآخر (الاستصراخ والدعوة إلى الجهاد).

ولم يكن أمام هؤلاء الشعراء إلا مجاراتهم في تلك الرغبات، طمعاً في عطاياهم السخية ومناصب الدولة الرفيعة التي تفتح لهم ابواب الثراء، كما أن معارضة هؤلاء السلاطين لم يكن أمراً يسيراً في ظل سلطانهم.

"وبهذا لم يعد الشعر مهماً بجزالته وجودته بقدر ما يكون يتمتع بقبول عند الحكام حتى جعل الشعراء يغالون في شعرهم، وجعلوا قدرات الحكام والملوك تفوق قدرات البشر وعدم تنفيذ هذا من قبل الشعراء"(10)، "سيؤدي ذلك بهم في بعض الأحيان إلى الدخول في غياهب السجون أو إلى معاناة شظف العيش وقسوته على أقل تقدير"(11).

ومثال على ذلك في مجاراة الشعراء للحكام لخوفهم منهم وطمعاً منهم في العطايا والكسب ومثال على ذلك ما جاء به الشاعر ابن حريق الأندلسي إذ يقول(12):

ولو بقدرك أهدي لما وجدتَ هدية

فاقبل بفضلك نزرا قبولهَ كالعطية

نلحظ أن الشاعر في هذه الأبيات عجز بأن يأتي بهدية تكون مناسبة لممدوحه وعظمته، فالشاعر يريد أن يقبل ممدوحه هذه الهدية؛ لأن الهدية ورغم بساطتها فإن قبولها من قبل الممدوح يعظمها، ويعطيها مكانة ولصاحبها، وصورة الغلو هنا هي أن الشاعر أستعمل لفظة (ولو بقدرك أهدي)، يصور فيها الشاعر مكانة الممدوح والهدية لا تتطابق مع عظمته وقدره، وأستعمل لفظة (كالعطية) ويصور فيها بأن قبول الهدية هي كرم من الممدوح للشاعر رغم بساطتها وتواضعها.

الوسيلة الوحيدة التي كان يتنافس فيها الشعراء حتى يصلوا الى رضا الممدوح هي الغلو،" كانوا يتنافسون بعنف فيما بينهم للوصول الى ابواب الحكام الذين وجدوا في شعرهم متنفس لتحقيق مطامعهم"[13]

شهدت الحياة الأندلسية تحولاً كبيراً، إذ ارتقى الشعراء بلغة الشعر إلى مصاف شعر الأوائل، حتى غدت ألسنتهم أداة تعبير فكرية مؤثرة، وصوتاً يحمل نبض المرحلة، ولم يعد الشعر محصوراً في دائرة الوصف والغزل؛ بل أصبح دعامة أساسية في الحراك الثقافي والسياسي، يوظف للدعوة ويستثمر في تسليط الضوء على قضايا مجتمعه، وقد أسفر هذا التحول عن بروز ظاهرة الغلو في التعبير، إذ بالغ الشعراء في تصوير المعاني ورفعها إلى ذروة البلاغة، حتى تجاوزوا احياناً حدود المعقول في سعيهم لإيصال فكرتهم بأقصى درجات التأثير.

من أبرز الأسباب التي أ دَّت إلى تفشي ظاهرة الغلو في الشعر الأندلسي؛ ذلك التعلق الشديد لدى الشعراء بما قد ينالونه من عطايا الملوك ومغانم المناصب، فقد أصبح المدح وسيلةً يتوسم بها الشاعر لنيل الحظوة، فتسابقوا إلى أبواب السلاطين، يتزينون بألفاظ الثناء، ويبالغون في تصوير محاسنهم وصفاتهم، لا لشيء سوى رغبةً بالمكافأة، وطمعاً في القرب من دوائر الحكم[14].

ومثال ذلك ما جاء به ابن الأبار في ديوانه إذ قال[15]:

ملوكٌ بها ليل كرام أعزةٌ لهم شيم مرضيةٌ ومنازعَ

إن البيئة الأندلسية ذات الروعة الطبيعية والصناعية اثرت بشكل كبير في الشعر، حتى جعلت الشعراء يتمتعون بذات مختلفة في مشاعرهم، وبسبب هذا جعل الشعراء يكتبون الشعر ويغالون فيه في الوصف للحكام من خلال مجالس الأنس واللهو "والمنظر الطبيعي هو يعتبر المساعد في القصيدة الأندلسية فهو فاتحة القصيدة او أساس بنوا عليه موضوع الخمر أو موضوع الحب أو موضوع المدح"[16].

ومن الأسباب التي تركت أثراً هي "الاثر الاخر هو امتزاج المدح بالشعر السياسي، وتركت الاوضاع السياسية، والاجتماعية آثاراً واسعة في الشعر؛ فأدت هجرات الشعراء المتوالية و اغترابهم عن وطنهم إلى ازدهار شعر الغربة والحنين، فأثرت النكبات ا لسياسية حتى في شعر الرثاء خصوصاً في مدنهم التي سقطت في يد النصارى"[17].

ومثال على ذلك مما جاء به ابن حربون في شعره إذ قال[18]:

لله ما هاج لَمعُ البارقِ السَّاري على فؤاد غَريبٍ نازِحِ الدارِ

كانَ الصّبا وَطَري إذ كُنتُ في وطني فَقَد فُجعتُ بأوطان وَاوطاري

ونلحظ أن الشاعر في هذا النص الشعري بأنه لم يسأل عليه أحد، لأنه غريب ونازح عن مدينته ووطنه، كان في الصبا له طموح لتحقيق ما يتمنى إذا بقي في وطنه، لكنه بسبب ما حل بهذه الأوطان فقد فُجع بغربته عن وطنه الذي كان يتمنى في صباه أن يحقق ما يطمح إليه في وطنه، فصورة الغلو هنا أن الشاعر أستعمل لفظة (فجعت)، إذ أن الفاجعة دائماً ما تكون في الفقد مثل الموت، وفقد الأحباب وليس في التغرب عن الوطن

"وبعد اختلاف أحوال الأندلس السياسية، هاجر عدد كبير من الأدباء والشعراء من جزيرتهم فارين بأرواحهم، واختلفت وجهات هؤلاء الشعراء فأتجه بعضهم إلى مراكش وغيرها من المغرب، وقد أسهمت هذه البيئات الجديدة في توجيه هؤلاء الشعراء المهاجرين وجهات معينة، فأكثروا من مدح الأمراء والحكام، وأصبح شعرهم وسيلة للتكسب والانتفاع"[19].

ومثال على ذلك ما جاء به الرصافي البلنسي في ديوانه إذ قال[20]:

وكفى بأن وسم الندى سمةً لم تمنحها الأيام من بعدَ

بعواف عمرَ البلاد بها أخضر منها الغور والنجدَ

ويصور الشاعر في هذه الأبيات بأن الكرم عند هذا الممدوح هو سمة ملازمة له، وأصبحت طابعاً خاصاً به لا يزول، وأتى الشاعر بهذا الكرم والعطاء، وجعل الأرض التي مثلها في لفظة (الغور)، وهي المنخفضة إلى أرض مرتفعة في لفظة (نجد)، وصورة الغلو هنا؛ هي أن الشاعر جعل كرم الممدوح لا يمحى، وأن بفضل كرمه كلها أخضرت حتى المنخفضة والمرتفعة، عندما قال (فأخضر منها الغور والنجد).

وكانت من مسببات الغلو السياسي " استغلال الملوك لأموال الشعب، فقد ظهر التباين الكبير في المستوى المعاشي بين الأندلسيين بشكل واضح، وقد عانى عامة الأندلسيين والأكثرية منهم من عيشة الفقر المدقع

على الرغم من الخيرات الكثيرة التي امتازت بها الأندلس، فكانت هناك فوارق طبقية في المجتمع الأندلسي فأزداد من ضجر العامة الأندلسيين، لقد عزا أحد الباحثين أسباب الضيق المعاشي والفقر التي عانى منها الأندلسيين إلى كثرة الضرائب، فكانت هذه الضرائب ثقيلة وباهضة"[21].

"وفي أيام الضعف تضرب عادةً شؤون البلاد وتعمها الفوضى وتتكاثر الأزمات، وهذا ما وقع أواخر أيام الموحدين، إذ تفاقمت الأزمة السياسية واشتدت الحال وحل الغلاء واختلت أحوال الخلافة الموحدية، ولا يخفى ما تخلفه الظروف الاقتصادية، والتدهور السياسي واختلال الأمن والنظام في البلاد، من أصداء أثرها بعيد في نفوس الشعب، وما سببته هذه الظروف من مجاعات وقحط بسبب الحصار والحروب، وهذا ما جعل الفرد الأندلسي لديه يأس، وشعور سوداوي يهدده بالاضطهاد الدائم، وازدادت الهجرة في الأندلس بشكل واضح في أواخر أيام الموحدين"[22].

المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية

إن ظاهرة الغلو في الشعر ليست وليدة عصر محدد، ولازمن ولا شاعر محدد قد تختلف باختلاف بيئة عن اخرى، فهي موجودة منذُ عصر الشعر الجاهلي عندما كان هناك تفاخر بالقوة، والعظمة ما بين قبيلة واخرى، وهذا يطلق عليه التنافس القبلي الذي يعد احد اركان الاسباب الاجتماعية؛ التي ادت الى ظهور ظاهرة الغلو في الشعر، وكان الشعراء يريدون التنافس فيما بينهم لجذب الناس، وشد انتباههم لذلك اتخذ الشعراء الغلو وسيلة في شعرهم ومثال على ذلك قول الشاعر عمرو بن كلثوم[23].

إذا بَلَغَ الفطامَ لَنا وليدٌ تَخِرُ له الجَبابِرُ ساجدينا

يغالي الشاعر في هذا البيت؛ بأنه إذا بلغ لنا صبي الفَطام تأتي لَهَ الجبابَرةَ من الأقوام الأخرى ساجدة، وكأن القوة هم يتميزون بها وحدهم وليس لأحد غيرهم، أما البيئة الأندلسية امتازت بجمال بيئتها، وجمال الطبيعة التي جعلت الشاعر الأندلسي يتفاعل معها بدافع ايجابي، وكانت هذه الطبيعةِ قد أثرت بشكل واضح في الشعر الأندلسي وتطوره، حتى انعكست هذه الطبيعة والأماكن الجميلة ايجاباً على الشعر الأندلسي والهمت الشاعر الأندلسي الأبداع بها، وجعلته يغالي في هذا الوصف في الشعر وهذه الأسباب كان لها اثر على المجتمع[24].

إنّ الشعر ما هو إلا استجابة لما يمر به الناس من ظروف داخلية، أو خارجية فرضتها عليه البيئة التي يعيش فيها؛ لذلك الشاعر هو من هذه البيئة فنراه يترجم ما يحمله الإنسان من ظروف، ومعاناة حتى جعلته يغالي في وصف اهل الأمر لمراعاة المجتمع وظروفه، وهذا يدلنا على أن هناك علاقة وثيقة جداً بين شعر الشاعر وما

أنتجه على الواقع، فنرى هناك علاقة من ناحية التأثر والتأثير وعلاقة اخذ و عطاء[25]؛ لإن الطبيعة لها أثر على وجدان الأنسان عندما تؤثر فيه مشاعر الغربة أو الانعزال.

وهنا نتكلم عن الغلو وأهميته وما له من أثر في بروز عالم جديد خال من التقييد يكشف معالم فكرية جديدة، "إن الغلو يزيل الرتابةَ عن الأشياء، ويكشف عن علاقات جديدة بين عناصر الوجود، تقدم لنا عالمنا هذا القديم ونفوسنا هذه التي تلابسنا، بشكل جديد ومدهش ويحرك الفكر ويثير التأمل وينشط الشعور، ويعيد الكائن البشري إلى مكانه من العالم وصلته العميقة بكل مظاهره وظواهره"[26].

"إن لكل اديب شخصية وتجارب وثقافة، واتجاه أدبي يمثل حياته في جميع مراحلها مجموعة من المواقف التي تحرك وجدانه وتستثير كيانه، فتترك آثارها في أدبه ،وتؤدي البيئة دوراً هاماً، والمجالس ايضاً تؤدي دوراً مهماً في القيم الفنية، والذوقية المختلفة"[27] ، وهنا تكون بوَاعث الغلو لدى الشاعر هي من أوصلته إلى أعلى غاية من المعنى؛ لأن الغلو من شأنه أن يكون هو الأساس في التعبير عن تجارب الغلو التي تظهر فيها الملامح النفسية؛ لأن الغلو هو أساس الاختلاف في الفكر بين الواقع والمجتمع[28]، فالواقع والمجتمع يتمثل بالآتي: الواقع هو ما يكون بوجود فعلي أي ما يتعلق بظاهرة قد تكون إنسانية أو طبيعية، أما المجتمع هو ما يتعلق بالأفراد الذين يعيشون ضمن نظام أساسي مشترك يتعلق بالثقافة والمجتمع.

وما يتعلق بالأسباب الاجتماعية ظهور الا خوا نيات وهذا موضوع يتصل بالمدح، وكانت تتناول العلاقات الاجتماعية، وقد تكون الإخوانية تعبير عن الشوق، او للقاء صديق، وهنا مخاطبة قاضي مراكش حجاج بن يوسف للسيد أبي عمران عندما تغيب عنه ثلاثة أيام[29]، وبما أن الإخوانيات تتعلق بمدح الإخوان والأصدقاء، والمدح يتعلق بالملوك والحكام عادة ما يكون الاسلوب بينهما متشابه حتى في المبالغة؛ لإن الإخوانيات هم مدح الصديق، والأخ بصفات قد يحملها ولكون الشعر الإخواني تغلب عليه العاطفة فقد يكون فيه مغالاة، كما هو الحال في المدح ألذي يخص الحكام.

إن الصلة بين الأ دب والمجتمع الأندلسي وثيقة، وكان أثرها بارزاً في جميع الأغراض الشعرية التي كان لها أثر في الحياة الاجتماعية، لأنه كان يتناول حياتهم اليومية، فهذا يدل على عمق الصلة ووثقها، وكان أشبه بالمرآة التي توضح الحياة التي كان يعيشها المجتمع الأندلسي بكل قضاياه

أما حسين الواد فيقول " إن للأدب صلة متينة بالوسط الاجتماعي الذي يظهر فيه، فعلاوة على إنه وثيقة تنطق بأحوال الماضي، وفضلاً عن إنه مرآة تصور شخصية صاحبه وبيئته وعصره، ذهبوا الى أن الأدب يتأثر بحياة الجماعة ويؤثر فيها"[30].

ويرى جرجي زيدان "من القواعد الأساسية في تاريخ الشعر أن يتبع في اسلوبه، ولفظه وطريقته حال الأمة التي تقوله، فيتنوع شعرها بتنوع نظام مجتمعها وسائر أحوالها"[31].

وفي هذه العلاقة الوثيقة يرى عز الدين اسماعيل "أن الفنان على صلة دائمة بمجتمعه، يقدم إليه ما يتساوق مع حاجته، سواء رضى عنه المجتمع أول الأمر أو واجهه بصرامة، وخضوع الشاعر لمجتمعه حقيقة لمسها أكبر الشعراء أنفسهم، فعرفوا أنهم لا شيء بدون المجتمع[32].

ولهذا إن الإبداع الحقيقي لا ينبت من فراغ؛ بل يتغذى من نبض روح المجتمع وحاجاته، حتى لو سبق الفنان مجتمعه أو اصطدم به، فالشاعر ليس كياناً معزولاً؛ بل هو صوت المجتمع وضميره، ووجوده مرهون بمدى تواصله وتأثيره.

إن الغلو كان له أثر وسبباً في عدم الاستقرار المجتمعي، وقد أدت إلى إضعاف فئات المجتمع؛ لأنه كان عائقاً في الجانب المجتمعي والإنساني.

"إنه من المغالاة أن نزعم أن الأندلس تمتعت بالاستقرار والرخاء الاقتصادي طوال عهد الموحدين، فقد أدت المحن السياسية إلى تقلب الأوضاع الاقتصادية، فارتفعت الأسعار، وعصف الجوع بالناس وكثرت الاوبئة، ولا سيما في أواخر حكم الموحدين للأندلس حين شدد النصارى ضرباتهم على المدن الأندلسية، فقد عاشت بلنسية أثناء الحصار، ومات كثير من اهلها بسبب الجوع، وكانت فترة الفتن من620-650، فترة مدلهمة من تاريخ الأندلس، مليئة بالأزمات الاقتصادية، وأهوال الغلاء والجوع والحرمان والأوبئة"[33].

أما السبب الآخر في الغلو الاجتماعي، أن هناك مشاكل كان يعاني منها المجتمع تولى امورها رجال السلطة، الذي لا يرى منهم المجتمع غير الكذب والخداع والحكم على الناس ويصفه لنا أبي حيان الأندلسي في قصيدته[34].

نَظَرْتُ إلى هَذا الوجود فَلَم أجدْ ... به غَيرَ كَذاب مُراء مُخادعِ
وَمسخَرة نالَ المَعالي بسُخْفه ... قَد إعتاد صَكاً في القَفا والأَخادعِ
وَجَماعة للمال قَد باعَ دينَهُ ... بنَزْرٍ من الدُنيا كَثير المَطامعِ

يصف الشاعر في هذه الأبيات الوجود على حساب المجتمع، هو جمع من صفات الكذب والخداع والرياء، وما نال هذه المعالي إلا من كان مسخرة، وهمه جمع المال و من شدة طمعه باع حتى الدين من اجل الكسب ورضى السلطان على حساب المجتمع، وإن هذه الأبيات تحمل نظرة من التشاؤم والنقد؛ بسبب ما يراه الشاعر في الواقع، وصورة الغلو في هذه الأبيات إذ اقتصرت على التشاؤم الذي صور فيه الشاعر بأن العالم كله ليس

فيه سوى أنه مليء بالكذب والخداع والفساد، وهذه الصفات كلها تتنافى مع كل ما هو متوازن في جمع الخير والشر.

ومن الأسباب الاجتماعية التي تبين لنا ظاهرة الغلو هي تعدد الطوائف المختلفة في المجتمع" سواء اكانت طوائف عرقية، ام كانت طوائف دينية هي سبب من اسباب عدم الاستقرار، إن هذا الاختلاف أدى الى الإحساس بالانتماء والتميز عن الآخرين والولاء لطائفة معينة"[35].

"والتوافق الاجتماعي يشعر الفرد من خلاله بحب الاخرين والثقة فيهم، والقدرة على الانسجام معهم وإقامة علاقات اجتماعية سليمة، والانتماء للمجتمع، والقيام بالأدوار الاجتماعية المناسبة والتفاعل معها في الحياة الاجتماعية بكل مناسباتها"[36].

وخير مثال على التوافق الاجتماعي في الأندلس هو وجود المسيح وعيشهم بحرية تامة، حتى في عصر الموحدين ورغم التشدد الذي كان عليه (عبد المؤمن بن علي) تجاه كل من هو من غير المسلمين لاسيما النصارى إلا أن الخلفاء من بعده كانوا أقل تشدداً منه، وعلى الرغم من هذا كله فإن المسيح كانوا بحرية واستقرار، وهذا دليل على وجود التوافق الاجتماعي والطبقي في عهد الموحدين[37].

"إن من أسباب الغلو الاجتماعي والتي تعد من أهمها هي اختلال الأوضاع والظروف الاجتماعية، والاقتصادية غير المستقرة والتي لا يتحقق فيها تلبية احتياجات الناس، تدعم التعصب وتجعل النفوس ميالة إلى رفض الآخر"[38].

وهناك بعض السلبيات التي انتشرت في المجتمع الأندلسي، من ظلم ونفاق جعلت الشاعر يغالي بما وقع عليه من ظلم من الناس في مجتمعه، حتى جعلت أحد الشعراء يفضل كلبه على الناس من حيث الوفاء وافتقارهم إلى الصفات الحسنة سواء كانوا غرباء أو اقرباء فكلهم في نظره سواء ومن يصل إلى درجة تفضيل الكلب على البشر يمكن القول أنه لخص الكثير مما وصلوا إليه من الفساد والانحطاط الأخلاقي[39].

ويقول الحاج ابو البركات في قصيدته[40] :

فلما أنختُ أناخ حذائي ... يُلاحظُني لحظ خل شفيقِ

ولا فرق بين الأباعد منهم ... وبين أخٍ مستحب شفيق

رحلتَ وقطمير كلبي رفيقي ... يؤنس قلبي بطول الطريقِ

ما منهم من ولي حميمٍ ... ولا ذي إخاء صحيحٍ حقيقي

وفي هذه الأبيات يصف الشاعر حال المجتمع و ما وصل إليه بسبب ظلم وجور الحكام، وهذا يعني أن المجتمع وصل إلى مرحلة من اليأس، وأن ليس فيهم من هو أفضل من غيره لا قريب ولا بعيد، و لا يوجد من هو صادق في من الولاة ولا حتى أخ حقيقي، وهذه الظروف الاجتماعية وما مر به المجتمع جعل للغلو مكانة في أشعارهم، وأصبح واقعاً يعبرون فيه عما يعانون منه حتى أصبحت الظروف الاجتماعية سبباً بارزاً من أسباب الغلو، فصورة الغلو في هذه الأبيات هي إعطاء مكانة للكلب وجعله أكثر صدقاً من البشر وأوفى، وأن الشاعر جعل الوفاء غائبا عن البَشر وهذا يعد من صور الغلو التي أطلقت حكمها بكل سلبية.

الخاتمة:

الحمدُ لله من قبلِ ومن بعدُ، الحمدُ لله على نعمه التي لا تُحصى ولا تعدُّ، الحمدُ لله الذي أعانني؛ لأصل لهذه المرحلة، وَقد أنعم عليَّ بإتمام هذا البحَث، وقد توَصلت إلى أهمِ النتائجِ، وهي كالآتي:

1. الغلو ظاهرة قديمة في الشعر العربي، لكنها اتخذت طابعا خاصا في الشعر الأندلسي نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية التي مرت بها الأندلس، خصوصا في عصر الموحدين.
2. برز الغلو السياسي بسبب، استبداد الحكام وقمع الحريات، ورغبة الشعراء في نيل رضا السلاطين، طمعا في المال والمناصب، فتحول الشعر إلى وسيلة دعائية للسلطة، وليس مجرد أداة تعبير فني.
3. الفقر من أبرز أسباب الغلو، كذلك التفاوت الطبقي في المجتمع.
4. كان للغربة والحنين إلى الوطن بعد سقوط المدن، وتأثير البيئة الأندلسية الساحرة التي ألهمت الشعراء بالغلو في الوصف.
5. انتشار الظلم والنفاق وغياب الوفاء، مما دفع بعض الشعراء إلى تفضيل الحيوانات (كالكلب مثلاً) على البشر، تعبيرا عن السخط.
6. الغلو في الشعر الأندلسي كان أداةً فنية للتأثير، ولكنّه أيضا يعكس أزمة حضارية وإنسانية، إذ تحول إلى وسيلة للبقاء أو للبكاء على ضياع القيم.

المصادر والمراجع:

1. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، أبو حاتم نبيل، دار الثقافة – الدوحة، د. ت.
2. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي– القاهرة، 1973م.
3. اسباب الغلو في الدين وكيفية علاجه، جامعة المعرفة العالمية، قسم الشريعة، ص: 7

4. الأُسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ط3، 1992م.
5. الاعتدال والغلو في شعر عصر بني الأحمر، اطروحة دكتوراه، د. ليلى نجاة جهاد أحمد، جامعة كركوك ،2022م.
6. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ط2، مطبعة الهلال– مصرن 1930م.
7. تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، د. احسان عباس، دار الشروق الأردن – 1997م.
8. التطرف والغلو، طارق محمد الطواري، مؤتمر جامعة الكويت، كلية الشريعة –كلية القانون، ص: 13، 2005م
9. ديوان ابن الابار القضاعي، تعليق: عبد السلام الهراس، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999م.
10. ديوان ابن حريق البلنسي، تحقيق: أحمد ابن شريفة، ط1، 1996م.
11. ديوان ابن حيان الأندلسي، تحقيق: د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي، ط1، مطبعة العاني – بغداد، 1968م.
12. ديوان الرصافي البلنسي ابو عبد الله محمد بن غالب، تحقيق: احسان عباس، دار الشروق، 1983م.
13. ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: أميل يعقوب، دار الكتاب العربي– بيروت، ط2، 1996م.
14. سلوك الإنسان بين الجريمة والعدوان، منصور سيد أحمد وزكريا أحمد الشربيني، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، د.ط، د.ت
15. الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء للطباعة والنشر– الإسكندرية – مصر،2007م، ط1، د. فوزي عيسى.
16. الشعر العربي بالمغرب في عهد الموحدين، د. علي ابراهيم كردي، ط1، دار الكتب الوطنية، 2010م.
17. الشعر العربي بين التطور والجمود، محمد الكفراوي، دار القلم –بيروت– لبنان، 2020م.
18. شعر بن حربون الشبلي، جمع وتوثيق: علي الغريب ومحمد الشناوي، دار الكتب، ط1، القاهرة، 2004م.
19. الشعر في عهد المرابطين والموحدين، د. محمد مجيد السعيد، دار الرشيد للنشر، 1980 م.
20. شعرية الغلو في الخطاب الشعري الأندلسي، (لسان الدين ابن الخطيب إنمو ذجاً)، د. يوسف الرايس، بحث مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، العدد 4، 2024م.
21. الصورة والبناء الشعري، عبد الله، عبد الله محمد حسين، دار المعارف– القاهرة، 1981م.
22. الغلو في رسائل لسان الدين ابن الخطيب، د. واقدة يوسف كريم، جامعة سامراء–كلية التربية– قسم اللغة العربية، العدد 6، 2016م
23. في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج، حسين الواد، ط1، دار المعرفة– تونس، 1980م.
24. مسببات الغلو في الفكر الديني المعاصر، د. عبد الله عوض العجمي، كلية الشريعة والدراسات.
25. مشكلة الغلو في الدين، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ج2، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1998م، د. ط.
26. المعارضات في الشعر الأندلسي دراسة نقدية، يونس طركي البجاري، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1971م.
27. مفهوم الأدب الأندلسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، رؤى حيدر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مجلد 46، العدد 2، 2009م.
28. نفح الطيب، أحمد بن محمد التلمساني، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر – بيروت، 1961م.
29. نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، قاسم مومني، دار الثقافة للطباعة والنشر 1982م.

الهوامش:

(1) شعرية الغلو في الخطاب الشعري الأندلسي، (لسان الدين ابن الخطيب، إنموذجاً)، د. يوسف الرايس، بحث مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، م5، ع4، ص:3

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص: 3
(3) الغلو في رسائل الدين ابن الخطيب، د. واقدة يوسف كريم، جامعة سامراء– كلية التربية/قسم اللغة العربية، ع6، ص: 4
(4) ينظر: الاعتدال والغلو في شعر بني الاحمر، اطروحة دكتوراه، د. ليلى نجاة جهاد، ص:1
(5) مشكلة الغلو في الدين، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ج2 ،جامعة الامام محمد بن سعود، 1998،ص: 475
(6) التطرف والغلو، طارق محمد الطواري، مؤتمر جامعة الكويت، كلية الشريعة، ص: 13
(7) سلوك الأنسان بين الجريمة والعدوان، منصور سيد أحمد و زكريا أحمد الشربيني، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر، ص: 244
(8) مفهوم الأدب الأندلسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، رؤى حيدر، مجلة العلوم – الجامعة الأردنية، ع2،ص: 369
(9) ينظر: الاعتدال والغلو في عصر بني الاحمر ، د. ليلى نجاة جهاد، جامعة كركوك، ص: 107
(10) الشعر العربي بين التطور والجمود، محمد الكفراوي ، ص: 189
(11) نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، قاسم مومني، ص: 310
(12) ديوان ابن حريق البلنسي، تحقيق: أحمد أبن شريفة، ط1، ص: 153
(13) اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ابو حاتم نبيل خليل، ص119
(14) ينظر: نفح الطيب، أحمد بن محمد التلمساني، تحقيق: د. احسان عباس، ص:90
(15) ديوان أبن الأبار القضاعي، ص: 375
(16) تاريخ الأدب الأندلسي، د. احسان عباس ، دار الشروق الأردن، ص: 162
(17) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، د. فوزي عيسى، ص: 36
(18) شعر عمر بن حربون السبلي، جمع وتوثيق: علي الغريب محمد الشناوي، ص: 120
(19) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، د. فوزي عيسى، ص:71
(20) ديوان الرصافي البلنسي، ص:62
(21) المعارضات في الشعر الأندلسي، دراسة نقدية، يونس البجاري، ص:26
(22) الشعر في عهد المرابطين والموحدين، د. محمد مجيد السعيد، ص: 47 – 48
(23) ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط2، ص: 91
(24) ينظر: شعرية الغلو في الخطاب الشعري الأندلسي، د. يوسف الرايس، ص: 6
(25) ينظر: شعرية الغلو في الخطاب الشعري الأندلسي، د. يوسف الرايس، ص: 7
(26) الصورة والبناء الشعري، عبد الله محمد حسين، ص: 122
(27) الغلو في رسائل لسان الدين ابن الخطيب، واقدة يوسف كريم ،جامعة سامراء–كلية التربية– قسم اللغة العربية ، ع6، ص: 6
(28) الغلو في رسائل لسان الدين ابن الخطيب، واقدة يوسف كريم ،جامعة سامراء–كلية التربية– قسم اللغة العربية، ص: 6– 7
(29) الشعر العربي بالمغرب في عهد الموحدين، د. علي ابراهيم كردي ص: 238
(30) في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج ، حسين الواد، بيروت – لبنان ، ص: 73– 74
(31) تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ط2، ص: 39
(32) الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، ط3، ص: 306
(33) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، د. فوزي عيسى، منتدى سور الأزبكية، ص: 36
(34) ديوان ابن حيان الأندلسي، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، ص: 264
(35) مسببات الغلو في الفكر الديني المعاصر، د.عبد الله عوض العجمي ، كلية الشريعة والدراسات، ص:33
(36) مسببات الغلو في الفكر الديني المعاصر، د.عبد الله عوض العجمي ، كلية الشريعة والدراسات، ص:32
(37) ينظر: الشعر في عهد المرتبطين والموحدين بالأندلس، د. محمد مجيد السعيد، ص: 57
(38) اسباب الغلو في الدين وكيفية علاجه، جامعة المعرفة العالمية، قسم الشريعة، ص: 7
(39) ينظر الأعتدال والغلو في الشعر الأندلسي ، د. ليلى نجاة جهاد أحمد ، ص: 93– 94
(40) الإحاطة في أخبار غرناطة ن لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ص: 162 – 163.